الدكتور سري نسيبة استاذ الفلسفة في جامعة بيرزيت في الارض المحتلة، واحد أهم الشخصيات الوطنية الفلسطينية، التي برزت في زمن الانتفاضة، كما هو واحد من أصحاب الآراء ووجهات النظر السياسية المثيرة. واحياناً الفريدة لكنها وفي كل الاحوال تعكس حيوية بالغة في فكره السياسي، وإذا كنا نسجل العديد من نقاط الخلاف مع ماتضمنته هذه المقابلة من آراء، إلا اننا في الوقت نفسه نؤكد ان الاختلاف معها لايقلل من اهميتها بل يؤكدها.

الدكتور سري نسيبة «للهدف»:

القيادة الوطنية الموحدة مهمتها إدارة المعركة ميدانياً

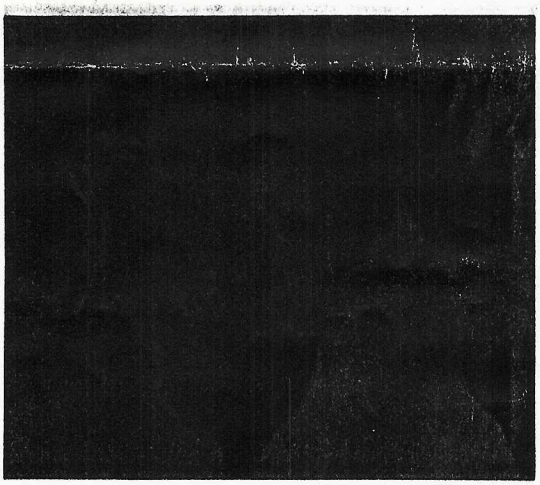

عبير القيسي ـ واشنطن

■ **ماهي آفاق الانتفاضة وماهي اتجاهات تطورها بعد عامين على اندلاعها؟**

■■ عند الحديث عن هذا الموضوع هناك عدة عوامل يجب أخذها بعين الاعتبار وباعتقادي أن العامل الاول هو تطبيع نمط الانتفاضة كمسلك ذو جوانب أو جذور متعددة من أهمها أن الشعب الفلسطيني قد اكتشف ذاته وقوته الذاتية، الأمر الذي لم يكن موجود بالسابق حيث لم يكن هناك وعي للقوة الذاتية التي كشفت عن نفسها في زمن الانتفاضة وهذا بحد ذاته يعني أن شعبنا أصبح يدرك قدرته حيث أصبحت الانتفاضة نمط مستمر وثابت في حياة الناس في الارض المحتلة. وهناك عامل آخر يمكننا التحدث عنه هو مبدأ الوحدة... وحدة العمل الميداني التي لم تكن موجودة من قبل بل بالعكس فقد كنا نلحظ بشكل عام صعوبة في جمع الأطر والفصائل المختلفة تحت خطة عمل مشترك وربما كان السبب يكمن في عدم وجود النضال الميداني بشكل جاد وقوي ولكن الظروف الجديدة التي خلقتها الانتفاضة فرضت على الساحة وحدة لم تكن موجودة بالسابق، وهذا لايعني، بأنه ليس هناك مشاكل ما أتحدث عنه هو المستوى العام، الذي نلاحظ فيه وحدة حال مترسخة وقوية للغاية. تعني عدة أشياء من ضمنها نشوء جو من الحوار الديمقراطي تحت مظلة القيادة الموحدة من شأنه المساهمة في تثبيت الوحدة من جهة واشراك كافة الاطراف بمجهود اتهم الذهنية لترشيد مسيرة الانتفاضة والتأكد من أن مسيرتها تسير على الطريق الصحيح من جهة اخرى. ولهذا نستطيع الاستنتاج بأن للانتفاضة مستقبل مشرق على المدى الطويل ولكن هذا لايعني عدم وجود جوانب يجب وعيها وادراكها واحتوائها.

■ **ماهي ؟**

■■ على سبيل المثال، والجميع بتصوري موافق على ذلك انه يجب التأكيد على أن الانتفاضة هي حركة موجيه وهذا طبيعي لانه ليس للانسان أو الجماعة قدرة على الاستمرار في نفس حدة المواجهة بشكل مستمر ومسترسل زمنياً فهناك مد وجزر وبالتالي من الضروري أن تأخذ القيادة الموحدة ـ في محاولتها ترشيد مسيرة الانتفاضة ـ بعين الاعتبار، ضرورة التفكير بالنفس الطويل وباننا لن نستطيع تحقيق أهدافنا بين ليلة وضحاها فتأخذ بالحسبان هذه الحركة الموجيه وتبرمج على أساسها نداءاتها، وبرنامجها، النضالي بناءً على تقييمها لهذه الحركة.

■ **ولكنك لاتحدد ظروف المعركة دائماً وفي بعض الاحيان تجد نفسك مجبراً على خوض معركة بمعنى أن الانتفاضة شكلت هجوماً فلسطينياً ولكنها بلغت مرحلة أخذت فيها سلطات الاحتلال بالهجوم أيضاً من أجل انهائها وبالتالي فرضوا عليك معركة البطاقات المغنطة ماذا كان يمكن أن يحصل سوى خوض المعركة واذا كنت تنتقد هذه المواقف فما هو النهج الذي كان ممكن تبنيه؟**

■■ بالنسبة لغزة بالذات لدينا خبرة كافية حيث كانت اسرائيل قد اختلقت قبل سنة معركة شبيهة وهي معركة استبدال الهويات القديمة بالهويات الجديدة ولم تكن قد بلغنا درجة الاستعداد الكامل لحرق بطاقات الهوية بشكل شامل ومع ذلك وجدنا أنفسنا في غزة مضطرين لخوض هذه المعركة. أن مرحلة العصيان الوطني الشامل هي مرحلة تشتمل عدة مراحل علينا خوضها واذكر أن الفترة بالذات (استبدال الهويات) لم نكن قد قطعنا هذه المراحل وبالتالي وجدنا أنفسنا في موقع لم يكن من اختلاقنا وانما من اختلاقهم فخضنا هذه المعركة وخسرناها بمعنى أننا لم نستطع آنذاك الحفاظ على تنفيذ

الشعار بعدم استخدام الهويات. من ناحية ثانية اسرائيل اختلقت معركة البطاقات لانها تعلم بأنه يمكنها استغلال واستثمار أوضاع عمال غزة ضدهم ونحن بالمقابل وقفنا وقلنا لا للبطاقات المغنطة. وكان يمكن ويجوز في تلك الفترة بالذات وأخذاً بعين الاعتبار الوضع العام في الضفة وغزة أن نرفع شعاراً بمقاومة البطاقات المغنطة لفترة زمنية معينة ومن ثم وبشكل منظم نسمح للعمال بالعودة الى عملهم، وما أحاول التركيز عليه هو أننا يجب أن نكون واعين لكافة العوامل يجب أن نعي ماهية الميدان الذي سندخله والميدان الذي لانرغب بالدخول اليه في هذه الفترة أو تلك وماهي الاستعدادات الموجودة لدينا. بمعنى أن الضغط الاسرائيلي وحتى الاقتصادي منه ممكن أن يخلق في فترة معينة حالة جزر أو حالة الانحسار على الصعيد الشعبي وفي فترة اخرى يمكن أن يؤدي هذا الضغط الى حالة ثورية متفجرة وعلى القيادة الموحدة في الداخل وعي كافة هذه العوامل ومن ثم تنظيم البرنامج بالتصعيد، فمثلاً في بيت ساحور كانت الدعوة لمقاطعة الضرائب ناجحة لان العوامل كلها هناك اختلفت عن العوامل في غزة فلكل موقع ومكان وزمان عوامل يجب أخذها بالاعتبار وعلى أساسها توجيه دفة المعركة.

■ ربما تبرز هنا اشكالية العلاقة بين الداخل والخارج. الا تعتقد بانه لو كان هناك دعم مالي كاف لاسناد العمال وعائلاتهم لكان من الممكن ان تستمر هذه المعركة حتى النهاية ثم الا تعتقد باننا في بعض الاحيان نطلب بل نحمل القيادة الوطنية الموحدة اكثر من طاقتها بدون توفر كافة مقومات الاسناد؟

■■ بالنسبة للأوضاع المالية فليس هناك شك بالحاجة الماسة لتطوير وسائل وكيفية ايصال الدعم المالي للداخل، ولكن بالمقابل يجب أن لا نقول ولا نسمح لانفسنا بالقول بأن ليس لدى منظمة التحرير الاستعداد أو التوجه أو العمل الجدي لايصال ودعم الناس في الارض المحتلة. طبعاً نحن بشكل مستمر بحاجة لتطوير الوسائل ومعرفة أفضلها فعلى سبيل المثال يمكن بسهولة - من خلال الجمعيات أو الجامعات أو المؤسسات الكبرى - ايصال أموال الدعم وليس هناك شك بأن هذا الدعم يصلها ولكن بالمقابل فان كل الاموال التي تذهب لهذه المؤسسات مهما بلغت لم تصل الى جيب الفرد الموجود في المخيم، ويحتاج في ذاك اليوم أن يبتاع الطعام أو يدفع ثمن ملابس لطفله أو كتاب للمدرسة وهنا يطرح السؤال كيف نصل الى الفرد؟ من غير المعقول أن نقول بأنه يمكننا الذهاب لكل شخص فرداً فرداً في كافة المخيمات والقرى والمدن وتوزيع الاموال، ولكن علينا التفكير بالوسائل الخلاقة لدعم هذا الشخص ومما اقترحه هو ايجاد الطرق من خلال الجمعيات والمجموعات العربية وغيرها التي من الممكن أن تتبنى قضايا محددة مثلاً لماذا لايكون هناك مجموعات تتبنى دعم ثمن الكتب لاطفال المدارس.. وقضية أخرى هي تسديد فواتير المياه والكهرباء حيث هناك عدد كبير من الناس متخلفين عن تسديد هذه الفواتير.. فبهذه الطريقة أكون قد تمكنت من مساعدة الناس فرداً فرداً....

■ من الواضح ان معركة بيت ساحور قد لفتت انتباه العالم كله الى الظلم الذي يعكسه نظام الضرائب الذي تفرضه اسرائيل والذي يرتبط بشعار No TAXATIVN WITH OUT REPRESENTA-TION **(لاضرائب بدون تمثيل) الذي رفعه عدد من شعوب العالم ونجح فيه، وكانت هذه المعركة فعلاً ذكية وخلاقة وخاصة في الوقت الذي بدات فيه وسائل الاعلام لاتعير الانتباه للانتفاضة. ماهي المواقع الاخرى المرشحة لهذه المعركة وما امكانيات هذه المعركة ومقوماتها؟**

■■ أولاً أن معركة بيت ساحور اختلقتها اسرائيل حسب حساباتها التي كانت تقول اذا كسرت ارادة بيت ساحور فأنني سأكسب معركة الضرائب مع سكان الأرض المحتلة. لقد دخلت في هذه المعركة واكتشفت بأن حساباتها كانت خاطئة لعدة أسباب أهمها توفر دعم اعلامي واسع لبيت ساحور وفي تقديري أن خسارة اسرائيل لهذه المعركة ليست خسارة فقط في بيت ساحور وانما خسارة للمعركة بشكل عام... وعلى المدى الطويل يجب المحافظة على شعار بأن الضرائب أصلاً غير قانونية وغير مقبولة وترسخ علاقة المحتل بالسكان وبالتالي علينا قطع هذه العلاقة. علينا الانتظار بعض الوقت لاسترداد النفس ونقوم مرة أخرى ضمن هجمة شاملة بالمطالبة بالالتزام ليس فقط بعدم دفع الضرائب وانما هناك عدداً من الاشياء كعدم دفع التراخيص والتقدم بطلبات لتراخيص البناء والعمل بمعنى آخر قطع الصلة وهنا أؤكد مرة أخرى بأن حركتنا موجبة.

■ لننتقل الى قضية العصيان.. فمنذ بداية الانتفاضة طرح شعار القيام بعصيانات متقطعة تؤدي في النهاية الى العصيان الوطني الشامل، ماهي آفاق هذه المسألة وماهي مقوماتها وماتقديرك الزمني لها؟

■■ بالنسبة للعصيان بشكل عام فباعتقادي أن الطريق أمامنا مازال طويلاً نحن لانتكلم عن شهور قصيرة وانما شهور طويلة والسبب في ذلك أنه لايمكننا الوصول الى مرحلة معينة الا في اجواء سياسية ودولية معينة لذلك بتقديري أن نمط الحياة داخل الاراضي المحتلة أصبح نمط عصياني الا أن الوصول الى درجة الاعلان عن العصيان الشامل ستأخذ بعضاً من الوقت ولن نصلها قبل أن نكون قد جهزنا أنفسنا لاقامة سلطة بديلة ومن هنا باعتقادي أن الدعوة لاقامة حكومة مؤقتة كما تحدثت عنها والتي هي بمفهوم السلطة يمكن أن تساهم مساهمة فعالة في ذلك.

■ لنتحدث عن فكرة الحكومة المؤقتة التي اقترحتها. لديك اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير ولديك القيادة الوطنية الموحدة فما هي هذه الحكومة وكيف تكون علاقتها بهذين الاطارين؟

■■ دعيني اتناولها تاريخياً من المؤسف ان الحوار حول دور الحكومة أو فكرة الحكومة المؤقتة مرتبطة بفكرة الحكومة قبل عقد أو عقدين من الزمن. لقد كنا قبل عشر سنوات أو أكثر عندما نطرح فكرة الحكومة المؤقتة، كانت تعني بشكل واضح لا لبس فيه انها مطروحة على أساس أننا نريد ممثليه تفاوضية بديلة عن منظمة التحرير للدخول في عملية سياسية ولم تكن أصلاً الفكرة موضوعة من أجل مشاركة منظمة التحرير. فكان التصور بأننا نريد تعيين ١٠ أو ١٢ شخص من الشخصيات العامة ينتخبوا من بينهم أشخاص عفا عليهم وبالتالي تشكل عملياً بديل لمنظمة التحرير هكذا كان التصور بالنسبة للعشر أو اثني عشر شخصاً وبذلك كان التصور بأننا نريد الحكومة للتفاوض. ولكن عندما أطرح اليوم تشكيل حكومة فان ماأعنيه هو الآتي: ان عملية منابر

الدولة هي عملية تكوينية يجب أن تتضمن النمط السلوكي وهو نمط الانفصال عن الاحتلال ومن ضمن هذه العملية أيضاً اعلان الاستقلال وتجميع وتوثيق اللجان الشعبية المنتشرة في ارجاء الوطن المحتل ـ تجميعها وتنظيمها في ظل تنظيم (هيكلية) ترى شؤون الوطن المحتل بشكل أفضل. القيادة الوطنية الموحدة هي قيادة سرية ومحدودة الدور بمعنى أنها تحاول بشكل أساسي التركيز على إدارة دفه المعركة ميدانياً هناك لجان شعبية منتشرة في كافة انحاء الضفة والقطاع، وبرأيي أنه ممكن جمع كل هذه اللجان وكل هؤلاء الناس في ظل بيروقراطية. نستحدثها من أجل تنظيم العمل الذي تقوم به أصلاً في بناء السلطة الفلسطينية المستقلة عن الاحتلال.

فنحن هنا لانتحدث عن توظيف ١٢ شخص ولا عن التفاوض بل بالعكس أننا نتحدث عن ماهية الضرر في التعيين المباشر لـ ٤٠ ـ ٥٠ الف انسان في الارض المحتلة كاعضاء في الحكومة أي موظفين. فلنأخذ على سبيل المثال قطاع التربية فنقوم بتعيين كل العاملين في قطاع التربية كموظفين في الحكومة وكذلك في قطاع الصحة والشؤون الاجتماعية والحراسة والشرطة. مثلاً ننظم لجان الحراسة من خلال دائرة تضم اللجان جميعها مهما كانت توجهاتها الفصائلية وتكون كلها جزءاً من الحكومة ونربط كافة هذه المؤسسات داخل الأرض المحتلة بشكل منظم مع القيادة في الخارج.

■ كيف تضمن علاقة الداخل بالخارج في هذه الصيغة ودور م.ت.ف في حل القضية الفلسطينية.

■■ أولاً أن قضية وحدانية تمثيل المنظمة ووحدانية الشعب برأيي ليست قضية مطروحة للجدل أو الشك. أو التساؤل من أي طرف أن الشخصيات الموجودة في الارض المحتلة هم جزء لايتجزأ من منظمة التحرير تماماً كالناس الموجودين خارج الارض المحتلة ولافرق بينهما. أن الشعب الفلسطيني شعب واحد داخل الارض المحتلة وخارجها وليست هذه قضية نقاش ثانياً كما أتصور الدور الممكن رسمه للحكومة أو لجهازها باعتقادي ليس دوراً تفاوضياً سياسياً أي ليس العمل السياسي الدبلوماسي فهذا الامر يبقى في أيدي قيادة هذه السلطة أي اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير. ما أتحدث عنه هو كافة الناس التي تعمل في القطاعات المختلفة. فلنأخذ مثلاً المستشفيات والعيادات واللجان الصحية. فما الخطأ في جمعها كلها سوية والاعلان بأنها جزء من وزارة الصحة ووزير الصحة يكون عضو في اللجنة التنفيذية أي في القيادة الفلسطينية خارج الاراضي المحتلة أما الموظفين والدوائر فهي موجودة في مؤسسات داخل الارض المحتلة وفي الأماكن الاخرى التي يتواجد بها الشعب الفلسطيني.

■ بمناسبة الحديث عن الانتخابات هناك اجماع على ان هدف هذه «الانتخابات» ليس تمكين سكان الارض المحتلة من ممارسة حقوقهم الديمقراطية لان هذه الحقوق اصلاً ملغاة في ظل الاحتلال بل الهدف هو اجهاض الانتفاضة بالأساس؟ هل تتفق مع ذلك ومارايك في المشاريع السياسية المختلفة المطروحة من شامير ومبارك وبيكر؟

■■ ان الكل يجمع أن مشروع شامير ماهو الاّ خطوة للخلف حتى عن كامب ديفيد وليس هناك خلاف حول ذلك.. وكذلك فان هذا المشروع كما تحدثت هدفه احباط الانتفاضة وتوفير بديل عن المؤتمر الدولي وعن المسار الذي حددناه لانفسنا وهو مسار انجاز حق تقرير المصير وهذا واضح. انها عملية جذابة اعلامياً في الغرب واستطاع شامير من خلالها أن ينجح في سلب الاضواء عن مبادرة السلام الفلسطينية حيث نسي الناس أو تناسوا هذه المبادرة. برأيي أن الانتخابات بحد ذاتها ليست شيئاً نرفضه كفلسطينيين وواقع الأمر ومنذ بداية الانتفاضة وكانت الانتخابات واحدة من مطالبها الرئيسية كجزء من عملية متكاملة تقود الى المؤتمر الدولي وحق تقرير المصير وانسحاب اسرائيل... الخ بمعنى اذا قالوا بأنها خطوة من الخطوات أقول شخصياً بأن هذا جيد وانا مستعد اذا وافقت المنظمة عليها حيث ليس من حقي الموافقة على شيء اذا لم يكن أصلاً مقر من منظمة التحرير.. فاذا وضعت الانتخابات في هذه الصيغة وفي هذه الطريق ممكن أن تكون مقبولة.. بالعكس فأن الانتخابات هي مبدأ ديمقراطي ننادي بتطبيقه ولسنا ضده. ولكن من ناحية تقييمنا للانتخابات المطروحة من قبل شامير. فالكل يعرف تمام المعرفة بأن هذا ليس الهدف وانما الهدف هو تجميد المسيرة وطمس الحقيقة..

■ ماهو تقييمك للحوار الفلسطيني الامريكي في ظل تصريحات م.ت.ف بانه خلى من اي مضمون وماهو إلا وسيلة تفرض من خلالها امريكا شروطها على م.ت.ف اذا كنت تتفق مع ذلك فما برايك البرنامج المفروض وضعه فلسطينياً للاستفادة من الحوار؟

■■ برأيي أن مبدأ الحوار مع الولايات المتحدة ليس مبدأ مرفوض وباعتقادي ان الساحة الأمريكية هي ساحة مهمة جداً ان كان على مستوى الرأي العام الامريكي أو الجالية اليهودية أو الادارة. فبالتالي على منظمة التحرير الفلسطينية العمل داخل الساحة الامريكية وتكثيف جهودها من أجل تغيير موقف الولايات المتحدة تدريجياً ليتناسب مع موقف المنظمة. هذا العمل يجب ألا يكون فقط كلام بين ياسر عبد ربه وبيلاترو في تونس لانه يمكن أن يكون هذا الحوار (٠,٠٥٪) من مجمل العلاقات التي يجب نسجها ومجمل الساحة التي يجب العمل بها من أجل التأثير على الموقف الامريكي. برأيي أن علينا كفلسطينيين أخذ الساحة الامريكية بجدية والعمل اعلامياً وخاصة على الرأي العام والمجال مفتوح حتى يتضامن الرأي العام مع مبادرتنا التي هي مطالب ومبادىء وحقوق يقبلونها كأشخاص وأفراد ومن ثم التأثير على السلطة التشريعية في البلاد وهي الكونغرس وكمقدمة للتأثير على الادارة الأمريكية باتخاذ مواقف مقبولة للشعب الفلسطيني: ومن هنا أقول أن الحوار كمبدأ غير مرفوض بل بالعكس يجب استمراره مع أن الحوار الذي يجري في تونس لايتطور ولكن يجب ابقاء شعرة معاوية من جهة والعمل بكثافة على المستويات الاخرى وبجدية.

■ ماهي رسالتك الى شعبنا الفلسطيني في المناطق العربية أو الشتات عبر الهدف؟

■■ ان كان لدي رسالة فهي أنه يجب الادراك بأننا لسنا في نهاية الطريق وانما في بدايته، لقد قطعنا منعطفاً تاريخياً في مسيرة النضال والمقاومة وتثبيت حقوقنا وانفسنا وبالتالي يجب شحذ الهمم من أجل الاستمرار في هذا الطريق ومجالات الدعم والتضامن والعطاء لازالت افاقها مفتوحة ويجب أن يكون هناك دور لكل انسان فلسطيني يقوم به اينما تواجد ■■